كما ذكر عند الاكثرين اذ لم تكشف حقيقته فاقول لا يخفى عليك وعلوم ترعرع قليلا
عن درجة عوام الى العلماء ان الموجودات بنفسه الى كاملة وناقصة والكامل
اشرف من الناقص ومهما تفاوتت درجات الكمال واقتصر منتهى الكمال على واحد
حتى لم يكن الكمال المطلق الا له ولم يكن للموجودات الاخر كمال مطلق بل كانت لها
كمالات تتفاوت بالاضافة الى الكمال فاكملها اقرب لا محاله الى الذي له الكمال
المطلق اعني قربا بالرتبة والدرجة لا بالمكان ثم الموجودات منقسمة
الى حية وميتة ويعلم ان الحي اشرف واكمل من الميت وان درجات الاحيا
ثلاثة درجة الملكية ودرجة الانس ودرجة البهائم ودرجة البهائم اسفل في
نفس الحياة التي بها شرفها لان الحس هو الدراك الفعال وفي ادراك البهيمة
نقص وفي فعلها نقص اما ادراكها فنقصانه انه مقصور على الحواس
وادراك الحس قاصر لانها لا تدرك الاشيا الا بمماسة او بقرب منها فالحس
معزول عن الادراك ان لم تكن مماسة او ولا قرب فان الذوق واللمس
يحتاج الى المماسة والسمع والبصر والشم يحتاج الى القرب وكل موجود لا
يتصور فيه مماسة وقرب فالحس معزول عن ادراكه في الحال واما فعلها
فهو انه مقصور على مقتضى الشهوة والغضب ولا باعث لها سواهما وليس
عقل يدعوها الى افعال مخالفة لمقتضى الشهوة والغضب واما الملك فدرجته
اعلى الدرجات لانه عبارة عن موجوده لا يوثر القرب والبعد في ادراكه بل لا
يقتصر ادراكه على ما يتصور فيه القرب والبعد اذ القرب والبعد يتصور
على الاجسام والاجسام احسن اقسام الموجودات ثم هو مقدس عن الشهوة
والغضب فليس افعاله بمقتضى الشهوة والغضب بل داعيه الى الافعال
امر اجل من الشهوة والغضب وهو طلب التقرب الى الله تعالى واما الانسان
فدرجته متوسطة بين الدرجتين فكانه مركب من بهيمة وملايكة
والاغلب عليه في بداية امره البهيمة اذ ليس له اولا من الادراك
الا الحواس الذي يحتاج في الادراك بها الى طلب القرب من المحسوس
بالسعي والحركة الى ان يشرق عليه بالاخرة نور العقل المتصرف
في ملكوت السماوات والارض من غير حاجة الى حركة بالبدن وطلب
قرب او مماسة مع المدرك به بل مدركه الامور المقدسة عن قبول

القرب

شهوته وغضبه

القرب والبعد بالمكان وكذلك المستولي عليه اولا شهوته وغضبه وبحسب
مقتضاها انبعاثه الى ان تظهر فيه الرغبة في طلب الكمال والنظر للعاقبة
وعصيان مقتضى الشهوة والغضب فان غلبة الشهوة والغضب
حتى ملكهما وضعفا عن تحريكه وتسكينه اخذ بذلك شبها من الملايكة
وكذلك ان قطع نفسه عن الجمود على الخيالات والمحسوسات وانس
بادراك امور تجل عن ان ينالها حس او خيال اخذ شبها اخر من
الملايكة فان خاصية الحيوة الادراك والفعل وايضا بتطرق النقصان
والتوسط والكمال ومهما اقتدوا بالملايكة في هاتين الخاصيتين كان ابعد
عن البهيمة واقرب الملك واعلم قريب من الله تعالى والقريب من القريب
قريب فان قلت فظاهر هذا الكلام يشير اثبات مشابهة بين العبد
وبين الله تعالى لانه اذا تخلق باخلاقه كان شبيها له ومعلوم شرعا
وعقلا ان الله تعالى ليس كمثله شيء وانه لا يشبهه شيا ولا يشبهه
شيء فاقول مهما عرفت معنى المماثلة المنفية عن الله تعالى عرفت انه
لا مثل له ولا ينبغي ان تظن ان المشاركة في كل وصف توجب المماثلة افترى
ان الضدين يتماثلان وبينهما غاية البعد الذي لا يتصور ان يكون
بعدا فوقه وهما متشاركان في اوصاف كثيرة اذ السواد يشارك البياض
في كونه عرضا وفي كونه لونا وفي كونه مدركا بالبصر وامور اخر سواه
افترى ان من قال الله موجود لا في محل وانه سميع بصير عالم مريد متكلم
حي قادر فاعل والانسان ايضا كذلك فقد شبه واثبت المثل هيهات
ليس الامر كذلك ولو كان الامر كذلك لكان الخلق كلهم مشبهة اذ لا اقل من
اثبات المشاركة في الوجود وهو موهوم للمشابهة بل المماثلة عبارة
عن المشاركة في النوع والماهية والفرس وانه كان بالنعامة في الكياسة لا يكون
مثلا للانسان لانه مخالف له بالنوع وانما يشابهه بالكياسة التي هي
عارضة خارجة عن الماهية المقومة لذات الانسانية والخاصية
الالهية انه الموجود الواجب الوجود بذاته التي عنها يوجد كل ما في

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)